Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ المديح النبويّ:

كان العرب يعيشون قبل الإسلام في أطراف الأرض على نظام غريب وأسلوب عجيب عشائر وقبائل تتصادم وتتناحر. فلما ظهر النبي محمد (ﷺ) دعا الى وحدة العرب واجتماعهم تحت دين واحد وراية واحدة لينقذهم من فوضى تشلّ حياتهم وحروب تستنفد قواهم. فهزّت تلك الدعوة الممالك المجاورة فوقفت بين مصدّقة ومكذّبة ووقف الشعراء منها موقف الدفاع أو الهجوم. أمّا المدافعون عن النبيّ ورسالته فقد امتدحوا خصال النبيّ وشمائله وكان مديحهم أشبه بمديح الأجواد والكرماء من رؤساء القبائل، ليس فيه ذكر للدين والتقوى والأخلاق. أمّا كعب بن زهير فقد مدح النبيّ بقصيدة سارت على الزمان وقلّدها الشعراء على مرّ العصور، يعتذر فيها من النبيّ ويطلب عفوه لما بدر منه حيث قال فيها:

إنّ الرسول لنورٌ يُستضاء به مهنّدٌ من سيوف الله مسلولُ

وبلغ بذلك منتهى المديح العربيّ القديم، إذ جمع الكرم والعفو والتسامح والشجاعة والوقار والسيادة والقداسة في شخص النبيّ. ثم انبرى حسّان بن ثابت شاعر الرسول يدافع عن النبيّ وعن دعوته الجديدة، فإذا رسالته هدىً للناس وإذا النبي هو الكمال المجسّم والخلق المصفّى:

خلقتَ مبرّأً من كلّ عيبٍ كأنّكَ قد خُلقتَ كما تشاءُ

وظلّ الشعراء في كلّ عصر يفعلون كما فعل حسّان بن ثابت، حتّى جاء القرن السابع للهجرة، فوضع محمد بن سعيد البوصيري قصيدته الهمزيّة الشهيرة التي زادت على أربعمائة بيت بسط فيها حياة النبيّ ومزاياه ومعجزاته، ورسم مولده في ليلة غرّاء وضعته فيها أمّه آمنة بنت وهب. ثم ينتقل إلى وصفه كرجل في قصيدة أخرى يقول فيها:

كالزّهرِ في ترفٍ والبدرِ في شرفٍ والبحرِ في كرمٍ والدهرِ في هِمَمِ